

المجتمع الرقمي و العنف

أ.المكي قاضي - جامعة سيدي بلعباس

مقدمة:

يعالج الموضوع إشكالية العولمة و العنف و ما يحمله المجتمع الرقمي من توجيه السلوك الاجتماعي عبر الإشارات الرقمية من صورة و سلوك اصطناعي. ينسف من خلاله العلاقات الاجتماعية و المجتمعية بذريعة الحرية، العدالة و الديمقراطية.

1- المجتمع الرقمي:

أ- من إعلام الجماهير إلى المجتمع الرقمي:

إن التطور التكنولوجي الرقمي الهائل في ميدان الإعلام الآلي ضرب جوهر الحياة الفردية. فالتطورات العلمية لم تعد تخضع إلى أية حتمية اجتماعية بل إلى الممارسة الاستهلاكية اليومية الذاتية، و أصبح المجتمع مفتوحا لاستقطاب أكبر عدد ممكن من المستهلكين من خلال خلق حاجات داخلية و خارجية قائمة على التسويق ألا رسمي، إخضاع المستهلك إلى حتمية دفع ثمن الخدمات التي يقدمها هذا المجال بصفة غير مجانية.

إذ أصبح الوضع يتجاوز تماما النظام الاجتماعي المبني على الحتمية الاقتصادية و التكنولوجية فالأولوية لمجتمع المعرفة الذي ينتهي إلى عدة تقاطعات و ابتكارات حولت العالم الحسي و الحياة الخاصة.

لقد شيد المجتمع الرقمي علاقات تجريدية من خلال الرقمنة و هي العملية الرقمية للإشارات أكانت صوتية، أو ضوئية التي يتم بنائها ثم تخزينها و إرسالها و إعادة إنتاجها.

فالفكر و الفعل أصبح رقمي و بذلك تكون علاقة الإنسان مع محيطه الطبيعي قد تعثرت و بشكل رهيب و يتمثل ذلك:

1) على المستوى الفلسفي:

إذ أصبح المهندس يبني صورة و صوتا اصطناعي و بالتالي انفصل الإنسان على قاعدته الواقعية التي كانت تغذي نشاطه العقلي و لم يصبح في هذه الحالة أية معنى للحواس و أصبحت المظاهر خداعة أكثر فأكثر.

2) على المستوى الانتروبولوجي الثقافي:

لقد تم تفجير شبكة القيم الاجتماعية القيمية و استبدالها بشبكة القيم الاصطناعية لتنتج رجل الشارع، ألا عقلاني فالعواطف، المشاعر، الأحاسيس، و الانفعالات قد تفجرت.

أما الذاكرة الشعبية فتحوّلت إلى أقراص رقمية إعلامية. و لا مكانة للذاكرة الشفوية، و للحياة المنزلية.

(3) **على المستوى السوسولوجي:** في محاولة تعويض و استبدال الوظائف البيولوجية بوظائف إصطناعية رقمية و أصبحنا ن فكر في الذكاء الاصطناعي، و الرجل المبرمج، ... إلخ

ب- إعادة إنتاج المجتمع أم تحول إجتماعي ثقافي:

هذه المستويات الثلاث توحى بعمق التفكك الذي أحدثه المجتمع الرقمي في عمق البناء الاجتماعي التاريخي.

و أصبحت توحى هذه المستويات الثلاث إلى الوجه الجديد الذي أصبح يكتسبه الإنسان داخل هذا التوجه التجديدي التكنولوجي الذي شيدت له الرأسمالية منذ نهاية الحرب العالمية الأولى و الثانية عندما هيكلت العالم العمراني الجديد و الانتقال من نظام الهياكل الجماعية و إستبدالها بهياكل الحياة الفردية، و الشروع مباشرة في الاستثمار في الأقمار الصناعية متحديّة و لأول مرة في التاريخ البشري الثقافة اليومية للمجتمع و ذلك بدخول الهوائيات و الأنترنات إلى البيوت الفردية و ظهور نموذج حياة ثقافي رقمي و أصبحت مادة الإعلام الآلي تدرّس من داخل المدارس و بشكل واسع على حساب علوم أخرى.

ت - الوجه الاجتماعي الجديد:

من المعلوم تاريخيا أن دول المركز هي التي تنتج هذه التكنولوجية الرقمية الاستهلاكية. و دول المحيط التي تقوم باستيراد هذه الوحدات الاستهلاكية الرقمية على مستوى الشارع الاجتماعي.

فرجل الشارع الاستهلاكي بالنسبة إلى دول المركز هو عقلايا لأن الوضعية التاريخية للابتكار التكنولوجي الرقمي مرت بمراحل علمية و اجتماعية ساهمت فيها القوى الاجتماعية تاريخيا فهو حاضرا على مستوى الآ شعور و المخيال الاجتماعي الذي ساهم في بناء الشخصية المركزية العقلانية.

أما بالنسبة لدول المحيط فإن عملية الانتشار التكنولوجي غير اجتماعية و ابتكارية و تعرضت عبر التاريخ إلى مرحلتين:

(1) محاولات التحديث التكنولوجي الذي لم يأخذ الواقع الاجتماعي بعين الاعتبار من جهة.

(2) فتح الأسواق العالمية أمام التكنولوجية الرقمية الاستهلاكية من جهة أخرى. هذا مما جسد رجل الشارع عبر عملية عولمة الثقافة الأ عقلاية في مجمل ممارسته اليومية، و أصبح مشدودا إلى الفردانية اليومية و الإنعزالية. مثبتا أنماط الحياة الاجتماعية التكنوقراطية التي ولّدتها نماذج التنمية المحمولة عبر المشاريع

الصناعية فتقاطعت البنيات الاجتماعية التقليدية الواسعة و الشائعة مع البنيات التكنولوجية التي حملتها على العموم البورجوازية الصغيرة في تبلور الفكر الفلسفي ألا عقلائي لرجل الشارع الأً مركزي و تبني الصور السياسية و الاجتماعية الرقمية لدول المركز التي جردته من طموحاته الوطنية إلى تطلعات كونية جعلت منه لا سياسيا و لا عقلانيا.

إذ وجهت دول المركز سلوكياتها الرقمية لتحقيق الديمقراطية و الحرية و العدالة الاجتماعية مزعزة كيانه التاريخي إلى قنبلة مؤقتة تخدم إعادة بناء النظام الإقليمي الجهوي.

تتجسد فلسفة رجل الشارع الأً مركزي في استقطاب فئة الشباب الغير مؤهلة إلى عنف الشوارع و أضحي عنف الشارع السلوك الاجتماعي الذي يتغذى منه الإعلام الرقمي في تجنيد رجل الشارع في الكثير من الدول. فالخبرة و الحنكة و التجربة المفقودة لن تسمح بإعادة الأمن و الاستقرار إلى هذه الدول.

إذ لعبت النخب التقليدية المثقفة حسب مفهوم قرامشي من جهة في تجنيد هذه الجماهير تحت الدافع الديني من خلال شبكات التواصل الاجتماعي و اختراق المواقع الالكترونية و الموزعات في صناعة الموت و العنف و سيدد المجتمع التقليدي الشرعية الجهادية و التكفيرية في الصور الرقمية المشفرة أو غير المشفرة لفتح فضاء مفتوحا أمام كل الاحتمالات . و لا يسمى إعلاما حرا أو بديلا إذا كان الخبر ينشر خارج نطاق السيطرة إذا كانت هذه المعلومة تنشر و تنقل بشكل رهيب، لأن هذا الإعلام يواجهه كما هائلا من مجتمع الشارع بالصورة و الصوت.

و لم يصبح لشبكة الأنترنت أي حدود في:

- 1) نشر الوثائق و الحقائق المزورة
- 2) خلق مواقع تؤدي إلى تبني العنف
- 3) تجنيد مهندسين مختصين في المعلوماتية من أجل اختراق المواقع و الموزعات

4) كسر الأخلاقيات المهنية في نشر صور الجنس أمام هذه النتائج الخطيرة للتدفق الإعلامي الرقمي عبر الأنترنت تظهر دور الشبكة العنكبوتية الاجتماعية في صناعة العنف و الموت.

II- ما هي مجالات الاتصال الاجتماعي

مجالات التواصل الاجتماعي عبر الأنترنت:

1- البريد الإلكتروني:

يعتبر رسالة عادية بطريقة إلكترونية يكتبها شخص بطريقة عادية على جهاز الحاسب الآلي الخاص به، و ذلك بفتح الصفحة الخاصة ببريد إلكتروني و لها رقم سري و اسم المستخدم و لا يمكن لغيره الدخول إليها، و هذه الرسالة يمكن أن ترسل

إلى شخص مقيم في المدينة ذاتها أو دولة أخرى، و البرقيات المستخدمة في البريد الإلكتروني متكونة من قسمين.

- **رأس البرقية:** يتضمن رأس البرقية عنوان المرسل إليه، عنوان المرسل، موضوع البرقية، عنوان النسخ، المستندات المرفقة، و هي عبارة عن بيانات أساسية لمرور الرسالة.

- **جسم البرقية:** و هو عبارة عن موضوع البرقية في حد ذاتها. و من مزايا البريد الإلكتروني هو إمكانية نقل النصوص و الصور و الأفلام بسرعة نقل المعلومات مقارنة بالبرقيات البريدية تكلفته قليلة، استقبال المعلومات من أي مكان في العالم.

و لعل أبسط تعريف للبريد الإلكتروني و هو ما قدمته Jean Andrews بقولها أن البريد الإلكتروني هو برنامج عميل خادم le client/ server application يستخدم في إرسال الرسائل النصية و يتولى أيضا تخزينها و إدارتها و توزيعها و استقبالها

1

الدردشة الإلكترونية: تحتل الدردشة عبر الشبكة فضاءات واسعة من حيث خدمة البيانات التي يتم تبادلها بين مستخدمي هذه الشبكة العالمية، فمستخدمي الأنترنت لا يرون في هذه التقنية إلا وسيلة للوصول إلى الآخرين عن طريق وسائل الاتصال المتعددة التي توفرها مثل:

البريد الإلكتروني، و المنتديات و الحوار و مواقع الدردشة. و من خلال الدردشة يتم استدراج أفراد المجتمع خاصة منهم فئة الشباب إناث و ذكور في مشاريع حوارية خارج أية مؤثرات عرقية و لا جنسية، دون الألوان و الأصوات البشرية غاية تفجير الحدود القيمية.

2- التويتير:

مفهوم التويتير:

و هو موقع شبكات اجتماعية يقدم خدمة تلوين مصغر و الذي يسمح لمستهلميه بإرسال تحديثات عن حالتهم من خلال إرسال رسالة نصية قصيرة.

3- اليوتوب

مفهوم اليوتوب:

و هو أكبر موقع لشبكة الأنترنت يسمح للمستخدمين برفع و مشاهدة و مشاركة مقاطع الفيديو بشكل مجاني

4- الفايس بوك:

و هو موقع على شبكة الأنترنت يعمل على تبادل الصور و الأخبار و الآراء و لم يعتمد في تصميمه إلا أن يكون موقع ينشر الأخبار و لكن هدفه الأساسي أنه موقع

يجمع بين الأصدقاء و يساعد على تواصلهم، و كان من الطبيعي أن يلفت النجاح السريع الذي حققه الموقع في صناعة المعلومات.

أهمية اللغة و الأبعاد الثقافية في الفاييس بوك:

اللغة هي مقوم من مقومات المجتمع و لها أيضا خاصية أخرى فهي حجر الزاوية في العلاقات الاجتماعية لأنها الوسيلة الأساسية للتخاطب و التفاهم و الاتفاق على أساليب العمل و بدونها يتعذر قيام العلاقات بين أفراد المجتمع الذي ينتمون إليه. و اللغة ليست من الأمور التي يصنعها فرد معين، و إنما تخلقها طبيعة المجتمع و ما تتطلبه الحياة فيه من تعبير عن الخواطر و تبادل الأفكار، فنجد أن الفرد ينشأ في مجتمع معين فيجد بين يديه نظاما لغويا يسير عليه و يأخذ منه طريقة التعليم أو التقاليد و العادات و النظم و القواعد السلوكية الأخرى.

و تلعب اللغة دورا هاما في تحديد العلاقات الاجتماعية التي تربط الفرد بمجتمعه ذلك لأن الاتصال هو الأداة التي بواسطتها يؤثر كل فرد في الآخرين و يتأثر بهم و بالنسبة لأهمية الدور الذي تقوم به اللغة فإننا نجد أن المجتمع يقوم بمحاسبة الأفراد الذين يسيئون استخدامها، سواء عن جهل في النطق و الكتابة أو عن عمد، و يبدو ذلك في صورة من الاستخفاف بها، كما في حالة الأشخاص الذين يعيشون في مجتمع معين و لا يحاولون إتقان لغته 2

و هكذا كلما اتسعت اللغة لدى الفرد اتسعت دائرة معاملته و علاقته في المجتمع، ذلك أن من تعاريف المجتمع أنه عبارة عن شبكة واسعة النطاق من الاتفاقيات المتبادلة، و قد تكون هذه الاتفاقيات عقودا مكتوبة أو تفاهما شفويا. إلا أن الخطر الذي قد ينجم عن هذه الشبكة هو تبني نظاما لغويا قد يخل بجوهر اللغة و يكون سببا في تبعثرها فالأنظمة اللغوية مشيدة على حساب قواعدها الصرفية. و اختصار الكلمات بلغة الشباب قد يفقدها توازنها.

III- العولمة و العنف:

1- المجتمع الرقمي و العنف

إن العنف الرقمي ما هو إلا شكل من أشكال الهيمنة الابتكارية لنمط الإنتاج الرأسمالي، أو شكل من أشكال العنف الرمزي المحمول عبر شبكات الإعلام الاجتماعي.

إن العنف ما هو إلا أحد تداعيات العولمة على أن المجتمع الرقمي ما هو إلا إنتاج تاريخي لتطور الرأسمالية و هي تكنولوجية الابتكار، إن اهتمام الرأسمالية بالجانب النظري في الإنتاج المعرفي ما هو إلا وسيلة تاريخية لشرعية هذا النظام السياسي الذي عمل على تفكيك العالم ثم إعادة بنائه على شكل قرية صغيرة تقودها الولايات المتحدة الأمريكية و حلفائها و تجسد هذا المشروع بداية السبعينات إذ يظهر ذلك من خلال كتابين.

الكتاب الأول: من تأليف عالم الاجتماع الكندي "ماك لوهان" بعنوان "حرب و سلام في القرية الكونية" 3 أوضح فيه مدى تطور الاتصالات في توحيد العالم على شكل قرية كونية.

الكتاب الثاني: أمريكا و العصر الإلكتروني من تأليف " زجغينويريزنسكي" مستشار الرئيس الأمريكي جيمي كارتر تطرق فيه إلى الدور الذي ينبغي على الولايات المتحدة الأمريكية أن تلعبه لقيادة العالم بفضل وسائل الإعلام الجماهيري المتقدمة و تقديم نموذج كوني للحدثة يحمل القيم الأمريكية 4.

كما يقترح "الجابري" مفهوم لغوي للعولمة و هو تعميم الشيء و توسيع دائرته يشمل العالم كله، و يفرق الجابري بين العولمة Globalisation و العالمية universable.

فالعولمة نزعة توسعية في حين أن العالمية طموح إلى الارتفاع بالخصوصية إلى مستوى عالمي إنساني، و العولمة احتواء للعالم، و العالمية تفتح على ما هو عالمي 5. فتكون العولمة المحمولة على ظهر نمط الإنتاج الرأسمالي قد حققت حركتها على مرحلتين

1- الابتكار التكنولوجي

2- إيديولوجية السوق الحر، و النمط الاستهلاكي، و الإعلام و الترفيه و الخوصصة.

مقابل تعليق سيادة الدولة و التقليل من فاعليتها و تنامي دور الاتحاد ضدها أو ما يسمى بالعولمة المضادة.

١٧- العنف الرمزي للعولمة:

أ- عولمة الثقافة أو العولمة الثقافية

من خلال الاتصال الثقافي للمجمعات فالعولمة الثقافية تعمل على تقليل ثقافة المجتمعات و تعيد بنائها بتكوين الخصوصيات المحلية التي ستستجيب للمحركين الأساسيين للرأسمالية و هما:

1- الابتكار التكنولوجي

2- إيديولوجية السوق الحر و الاستهلاك و التقليل من حلول تدخل الدولة و عمدت على:

1) تحسين هذا العنف الرمزي من خلال عملية الاغتراب الثقافي في عدم المعرفة التكنولوجية.

2) الواقع الاجتماعي و الثقافي للمجمعات لا يسمح ببناء ثقافة واحدة

3) إن الاستهلاك السلعي لا يعني بالضرورة التنازل عن الروح الثقافية التي تشمل اللغة و الدين و القيم و العادات.

4) تقتضي العولمة عبر آلياتها على إضعاف الثقافات المحلية و خلق أزمة هوية. خاصة في البلدان الممزقة بالتكنولوجيا الحديثة و التي تعتبر من أهم حركات العولمة التي تمثل أداة قهر ذات تأثير على فردية الفرد و هوية الأمة.

5) تكون العولمة الثقافية قد نجحت إلى بعد كبير في عرض النموذج الغربي و الأمريكي على وجه الخصوص للحياة الاستهلاكية و تصور لنموذج الحياة الفردية مما يعيق و بصورة أخرى ثقافة الآخر (المقهور) في قرية الإبداع و الابتكار.

6) الصناعة الثقافية و غزو الصورة

قد نجحت العولمة الثقافية في فرض النموذج الغربي و الأمريكي على وجه الخصوص للحياة الاستهلاكية و القصور في هذا الصدد نجحت السينما الأمريكية في استمالة العقول على طريقة الاستهلاك الأمريكية و أصبح غزو الصور يغطي الكوكب كله، و يعرض بالحياة الاجتماعية الهادئة، و يشير كل MAX HORKHEINER إلى الأنشطة الصناعية التي تنتج و تسوق الخطابات، THEODOR ADORNOS إلى القدرات الأخرى و العادات التي يكتسبها الإنسان الأصوات، الصور، الفنون و كل القدرات الأخرى و العادات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضو في المجتمع و التي تمتلك و بدرجات مختلفة خصائص الثقافة 6.

7) فشل النخب الثقافية في حماية التراث الثقافي الوطني و تطويره لمواجهة ثقافة العولمة بل انسياق ثقافي و قابلية مطلقة للرضوخ إلى التدفق الإعلامي و الثقافي الغربي العابر للهويات، كما يشير إلى ذلك برهان غوليون (لا يعتبر دمجها في ثقافة النخبة العالمية و لكن يعني شيئا واحدا و هو خفض الثقافات الوطنية إلى مستوى الثقافات الشعبية، و نزع سلطتها الرمزية و فصلها عن منظومة التوجيه من خلال النخب.

الخلاصة:

قامت الأنظمة الرقمية إلى تفكيك الحياة الاجتماعية مما أدى إلى قتل الإنسان نفسه . كما أدى هذا التفكيك إلى إثارة أزمات داخل الهويات الوطنية القائمة عبر تحريك عنف الشوارع الذي تنجر عنه حروبا أهلية و قبلية عارمة. و لا يمكن لهذه المجتمعات الصمود و التحدي إلا من خلال ضمان استمرارية و صيانة نظامها الثقافي عبر تثوير شبكتها القيمية عبر مشروع مجتمعي قائم على تلك الثنائية القائمة على الأصالة و المعاصرة.

المراجع:

1 عبد القادر بيومي حجازي: الأحداث و الأنترنت، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية ط01، 2002، ص 23.

2 محمد عبد المنعم نور: أسس العلاقات الإنسانية، دراسة أساسية العلوم الاجتماعية، مكتبة القاهرة الحديثة بدون طبعة، ص 24

3 طلاس عتريسي المناظرة حول العولمة . مجلة شؤون الأوسط - ص 71

4 نفس المرجع

5 محمد عابد الجابري "العولمة و الهوية و الثقافية"، المستقبل العربي، العدد 228، (فيفري 1998)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص 16-17.

6 Jean-Pierre Warnier, la mondialisation de la culture

Alger : éditions Casbah, Paris : Edition La Découverte, 1999, P15-16